الحمد للّه رب العالمين نحمده تعالى حمد من يعترف له بالنعمة ونشكره جل وعلا شكر من يُقر له بالفضل ونشهد أنه اللّه، أوجب على عباده معاملة الأزواج بالحسنى فقال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً

ونشهد أن سيدنا محمدا رسولُ اللّه كان أرفقَ الناس بنسائه وكان يدعو إلى البر بالأزواج فيقول في ما يرويه الترمذي عن أم المؤمنين عائشة:

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي

أما بعد فلا زلنا أحبابَ اللّهِ نعيشُ مع رسولِ اللّه عسى أن نغلق الباب دون الجُرأة عليه أو النيل منه وإن مما يجدر بنا ذكره هنا تعريفا به ﷺ أنه جاءنا متمما لمكارم الأخلاق معلما لمعالي الأمور ففي الحديث:

إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ

ونحن وقد احتفل الناس من يومين باليوم العالمي للمرأة نريد أن نغتنم الفرصة فنلقي نظرة في معاملته ﷺ لهذه المرأة وكيف كان عليه السلام يُعزها ويحث على إكرامها ليعلم المناوئون أنهم في خوضهم هذا يلعبون وأنهم يقولون ما لا يعلمون فعَنْ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنه كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَحَدَا الْحَادِي فَقَالَ له عليه السلام:

اُرْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ وَيْحَكَ بِالْقَوَارِيرِ

أي رفقا بالنِّسَاء وإنما شَبَّههن ﷺ بالزُّجَاج لأنَّهُ يَنْبَغِي الحِفَاظُ عَلَيْهِنَّ كَالحِفَاظِ عَلَى شَيْءٍ سَرِيعِ الانْكِسَار وَالْمُرَادُ الرِّفْقُ فِي السَّيْرِ لِأَنَّ الْإِبِلَ إِذَا سَمِعْتِ الْحُدَاءَ أَسْرَعَتْ فَأَتْعَبَتِ الرَّاكِبَ فَنَهَاه عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّ النِّسَاء بطبيعتهن يَتضرَّرْن من شِدَّة الْحَرَكَة وَيُخَافُ عليهن السُّقُوطُ وهذا لعمري هو الرفق بعينه. ثم إنه ﷺ كان لا يتوانى في خدمة أزواجه فقد سُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ فقَالَتْ كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ وهذا من بالغِ تواضعه عليه السلام. ثم إنه كذلك كان يلتزم احترامَ النساء ويسلم عليهن ويعطي لهن من الوقت ما يكفيهن فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا بَيْنَا هِيَ فِي نِسْوَةٍ مَرَّ عَلَيْهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ، ويكفيك دليلا على معاملته ﷺ النساء بالحسنى وحثِّهِ على ذلك أن من آخر وصاياه كانت في النساء إذ قال في خطبة الوداع:

اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ .. أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ

وهذا عباد الله قليل من كثير مما يُسْتَدَلُّ به ولولا التزامي باحترام وقتكم لبسطت ذلك لكم بسطا وإنما المعول أن يبعث فيكم ما قيل فضولَ قراءة سيرته ﷺ. نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبحديث هذا النبي الكريم والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله الذي لا يليق الحمد إلا له والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. بقي لنا أيها الأحبة أن نذكر وجهين آخرين من سلوكه المتميز ﷺ مع أخواتنا في الله. أما الأول فعن إشراكهن في القرار السياسي مما يتغنى به في هذه الأيام بعضُ المتحضرين بيد أنه ﷺ سبقهم إليه منذ زمان حيث كان لا حق للمرأة في شيء. روى البخاري أنه ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنْ كِتَابة صُلْحِ الحُدَيْبِيَة قَالَ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا فَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَداً حَتَّى فَعَلَ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا.

وأما الوجه الثاني فهو في رد الحق لهن حين يتعين ذلك فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ تَخْتَضِبُ وَتَتَطَيَّبُ فَتَرَكَتْهُ فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهَا أَمُشْهِدٌ أَمْ مُغِيبٌ فَقَالَتْ مُشْهِدٌ كَمُغِيبٍ ... عُثْمَانُ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُ النِّسَاءَ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَقِيَ عُثْمَانَ فَقَالَ يَا عُثْمَانُ أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأُسْوَةٌ مَا لَكَ بِنَا.

وعنها أيضا دَخَلَتِ امْرَأَةٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ إِنِّي طَلَّقتُ وَإِنَّ فلانا

تَزَوَّجَنِي وَإِنَّمَا عِنْدَهُ مِثْلُ هُدْبَتِي وَأَخَذَتْ هُدْبَةً مِنْ جِلْبَابِهَا فَمَا زَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التَّبَسُّمِ وَقَالَ:

كَأَنَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ لَا حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ فقَالَ:

اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ

فاللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت وبعد الرضا. صل اللهم على شفيع الورى في الموقف العظيم نبينا محمد اللهم إنا نسألك إيمانا ليس بعده كفر ومغفرة ليس بعدها ذنب ورحمة ليس بعدها عذاب. اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم رحمتك نرجو ومغفرتك نأمل وعفوك نتمنى لا إله إلا أنت، ارحم ضعفنا واغفر ذنبنا واعف عن زلاتنا وتب علينا التوبة التي تريد منا. اللهم احفظ أمير المؤمنين محمد السادس بما حفظت به الذكر الحكيم وكن له الولي والنصير والمعين والظهير وأبعد عنه كلَّ بطانةِ سوء يا عليم يا خبير. ربنا إياك سألنا ولإحسانك تعرضنا فأقبل اللهم بوجهك علينا والحمد لله رب العالمين.